المشرق

المئة الاولى

لانبعاث الرهبانيَّة اليسوعيَّة

نظر تاريخي للاب لويس رتزفال اليسوعي

في ٧ آب من السنة ١٨١٤ بعث الحبر الاعظم بيوس السابع الرهبانية اليسوعية من قبرها بعد انحجابها في فلك الكنيسة ٤١ عاماً بقوَّة البراءة التي اصدرها البابا اقليمس الرابع عشر مضطرًّا الى ذلك بمؤامرة كل اعداء الدين وانصار الثورة

واعري انَّ من يعتبر حالة هذه الفئة المنتمية الى يسوع وسقوطها بعد الضربات المتتالية التي تكرَّرت عليها من قبل الدول البوربونيَّة المحرَّكة بتواطؤ وزرائها الاشرار المدفوعين بدسائس البدعة الجنسيَّة وفلاسفة ذلك العصر الكذَبة واعضاء الماسونيَّة يأخذهُ الاندهاش لفوز الباطل على الحق وأجال في فكرهِ تلك البلايا والمحن التي ادركت ايوب البارّ مع صلاحهِ وبرارة حياتهِ حتى انَّ يد الرب عينهِ تثاقلت عليهِ فاحق بالدقعاء وافترش لهُ المزابل

كانت رهبانيَّة يسوع قبل رزيَّتها في مقام رفيع من الرقي والازدهار حرَّك في قلوب اعدائها عوامل الحسد والبغض فتناصر الجحيم وحزب الشيطان على الارض لاستئصال شأفة تلك الجمعيَّة التي تصدَّت منذ مئتي سنة بنيَّف لرد غاراتهما وكبح جماحهما فسمح الله ان ينتصرا عليها لزمن قصير ليكون قيامها من قبرها فوزًا جديدًا لابنائها

كان عدد اليسوعيين في العالم قبل الغاء فتنهم ٢٢,٧٨٧ راهباً نصفهم كهنة

والنصف الآخر دارسون يستعدّون للكهنوت او مختصّون بالاعمال اليدويّة وخدمة اخوانهم . وكان هؤلاء الالوف المؤلّفة من الرهبان منقسمين الى ٣٩ اقليماً ينشرون الدين في ٢٢٣ قطرًا من الاقطار الاجنبيّة ويخدمون للوثنيين في ٢٤٩ ديرًا منظّماً و ٦٦٩ كليّة او مدرسة و ٣٣٥ مركزًا و ١٧٦ مدرسةً اكليريكيّة و ٦١ ديرًا ابتدائيًا . فكانت كل هذه المعاهد تقوم باعمال دينيّة شتّى وتؤدّي للعالم المسيحيّ خدماً لا تُحصى لا يقصد اصحابُها بتأديتها غير وجه الله ورفع منار الدين . فعرف العدوّ انهُ بضربهِ تلك الرهبانيّة يضرب الكنيسة في قلبها

وكان الاحبار الرومانيّون لا يزالون يكررون آيات الثناء على غيرة اليسوعيين وفضائلهم حتى الذين لم يصادقوا على خطّتهم في بعض الامور كالبابا بندكتوس الرابع عشر (+١٧٥٨) الذي حكم عليهم لتساهلهم في بعض عادات اهل الصين والهند (سنة ١٧٤٢) لكنّهُ امتدح سلوكهم الصالح واصدر سنة ١٧٤٨ براءة اوّلها « Gloriosæ Dominæ » صرّح فيها بفضل ابناء القديس اغناطيوس وأعلن بأنّهم لم يحيدوا البتّة عن آثار اجدادهم المجيدة

ولمّا قام بعد قليل المركيز دي بمبال وزير ملك البرتغال (سنة ١٧٥٩) والدوق دي شوازول وزير ملك فرنسة (سنة ١٧٦٢) مع تبعتهما وحملوا على رهبانيّة يسوع الحملات المريعة فنفوا ابناءها واستصفوا اموالها ودمّروا معاهدها ورسالاتها بين الامم البربريّة وألّبوا على البابا اقليمس الثالث عشر ليُلغيها الى أبد الدهر تصدّى لهم ذاك الحبر الباسل ودافع عن المظلومين بشهامة ونشر (سنة ١٧٦٥) براءتهُ الخطيرة التي بدؤها « Apostolicum » فأطرأ على سلالة القديس اغناطيوس وبيّن فضلها واثبت رسومها وقوانينها . ولمّا تبوّأ البابا اقليمس الرابع عشر كرسي الخلافة الرسوليّة استأنف اعداء الرهبانيّة اليسوعيّة الغارة عليها فلم يزالوا يواصلون كرّاتهم حتى خاف الحبر الاعظم سوء العاقبة فاجاب الى سؤلهم سنة ١٧٧٣ في براءةٍ افتتحها بالالفاظ « Dominus ac Redemptor » لكنّ هذا البابا نفسهُ أعلن غير مرّة انهُ لا يفعل الّا مرغوماً . فمن ذلك ما قالهُ لسفير ملك اسبانية لدى الكرسيّ الرسولي المدعو فلوريدا بلانكا الذي كان يُغريهِ باليسوعيين ويضايقهُ ليصدر منشور الغائهم لئلّا تهلك كل الرهبانيّات ببقائهم : « اراه اني اشعر منذ زمن مديد بنيّاتكم انكم

تقصدون بالنار الرهبانيَّة اليسوعيَّة ملاشاة كل الجمعيَّات الرهبانيَّة لا بل تريدون دمار الكنيسة الكاثوليكية باجمعها. ولعلَّ الملوك يُبرَّؤون منذ الآن الانفصال عن الكنيسة وتأييد البدع » (١

فكفى بهذه الكلمة تبريرًا لليسوعيين اذ قالها ذاك البابا عينهُ الذي ألفى رهبانيَّتهم حبًّا بالسلام

لكنَّ ذاك السلام الموعود من اعداء الكنيسة ما كان الَّا مقدِّمةَ حربٍ جهنَّميَّة نشبت في كل انحاء اوربَّة ضدَّ الدين عموماً والكنيسة الكاثوليكيَّة خصوصاً كما سبق رئيس اساقفة باريس كرستوف دي بومنت (Christophe de Beaumont) وبيَّنهُ في رسالتهِ الى البابا اقليمس المذكور بعد نشرهِ البراءة الملغية للرهبانيَّة اليسوعيَّة فقال :

« ايها الاب الاقدس انَّ السلام الذي يعدنا بهِ اعداء الدين بالنار جميعًا يسوع ليس هو ذاك السلام الذي اتى بهِ السيد المسيح وانما هو سلامٌ كاذب سلامُ الخبث والمكر والخلاعة وبقيَّة الاهواء الباطلة التي اشار اليها النبي (ارميا ٦ : ١٤) لمَّا وصف سلام الاشرار الصارخين : « سلامٌ سلام وليس سلام » فهذا السلام الذي رذلهُ السيد المسيح هو السلام الذي عارضتهُ جميعًا يسوع وتفانت في مناصبتهِ حتى الموت ولذلك قام عليها كل الاشرار وهذا لعمري المحُ برهان على انَّ تلك الرهبانيَّة كانت أشدَّ فريق العدى وأبطل اعضاد الدين واهتن اركان الكنيسة ودعائمها. فبسقوطها سقوط الكنيسة نحنُ مرَّة »

---

١) وقد رأينا في ايامنا اعداء الدين يكرِّرون هذا الفصل عينهُ في فرنسة في حقِّ الرهبان اليسوعيين. وكذلك اقرَّ مؤرخو البروتستانت في عهد اقليمس الرابع عشر ان وزراء ملوك البوربون يضربهم الرهبانية اليسوعية لم يقصدوا سوى تنكيس مبالم الدين. قال المؤرخ شيل (Schœll : *Histoire des Etats européens*, t. 44, p. 71) : « كان الجنسنيُّون وذوو الحزب المتفلسف تآمروا على تدمير سلطة الاحبار الرومانيين لكنَّهم وجدوا انَّ هذا لا يتمُّ لهم الَّا بكسر شوكة المدافعين عنها اي فرقة الرهبان اليسوعيين. فذلك ما دعاهم الى ان يُصلوا على تلك الرهبانيَّة حربًا عوانًا فهيَّجوا عليهم كل العالم وألَّفوا بنضم في كل القلوب حتى اذا تمكنوا من انفاسهم يستطيعون ان يزحزحوا عن الدين الكاثوليكي وعلى السلطة الملكيَّة » . واوضح منهُ قول المؤرخ البروتستاني رنك (Leop. Ranke : *Hist. de la Papauté*, t. IV, p. 476) : « نشأ في كل دول اوربَّة حزبان : حزب واحد كان يرمي الى محاربة البابوية وتدمير الكنيسة والملوكيَّة وحزب آخر كان يسعى في محافظة النظام القديم وتأييد سلطة الكنيسة العامَّة. فكان اليسوعيون هم الذين يؤلفون خصوصاً هذا الحزب الاخير ولذلك اعتبرهم اهل الثورة والمشاغب كأنصار الكثلكة فجمعوا عليهم كل قوَّتهم لتدميرهم »

وما لبث ان تحقَّق كلام ذاك الاسقف الممدود بين نوابغ عصره . فبعد سنتين مات اقليمس الرابع عشر وآخرُ رئيس عامّ على الرهبانيَّة اليسوعيَّة (سنة ١٧٧٥) فجلس على عرش الخلافة البطرسيَّة بيوس السادس (١٧٧٥—١٨٠٠) فشهد بالعيان تلك الاهوال المفجعة والهرج والمرج والفتن التي استورى زنادَها الزنادقةُ وحلَّ عقالَها انصارُ الكفر فعلم ارباب الدين ما فقدوهُ بالغاء تلك الفئة المعدودة في مقدَّمة جنود الكنيسة . فاخذ الكرادلة والاساقفة وكل رؤساء الدين وبقيَّة المؤمنين يتأسَّفون على ملاشاة جمعيَّة يسوع ويبلغ صوت أسفهم الى مسامع بيوس السادس الذي جعل يفكر في طريقة اعادة الرهبنة الغاة الى حالتها السابقة فجمع لذلك كرادلة البيعة المقدَّسة وطلب رأيهم في سقوط الرهبانيَّة اليسوعيَّة فسمع غير واحد منهم يستحثُّهُ على ردّهم الى مقامهم الاوَّل وكان من جملتهم الكردينال ليونرد انطونلي (L. Antonelli) الذي صار بعد ذلك رفيقاً للبابا بيوس السابع في سجنه في فرنسة فقال للحبر الاعظم :

« انَّ ما فعلهُ سلفُك قد جرى بضغط الملوك على رئيس الكنيسة ومن ثمَّ لا قوَّة لبراءته التي نشرها مرغوماً دون حريَّة كافية . واني اعدُّ الرهبانية اليسوعيَّة غيرَ الغاة فيكفي لقداستك ان تُعلن بالامر ولا اشكُّ انها ستفعل . وايمُ الله انَّ جماعةً رهبانيَّة بقصد اعتاقها كأنهم غايةً واحدة ويتوسَّلون لادراك تلك الغاية بوسائل صالحة قمَّالة كما اعتادتها رهبانيَّة يسوع لأفضلُ جماعة في عصرنا الشرّير ولو عُدمت لاقتضى انشاؤها . ومن المعلوم انَّ ابناء اغناطيوس في القرن السادس عشر خدموا الدين في وجه البدع البروتستانيَّة خدماً لا تزال الكنيسة تشكرهم عليها فكم بالاحرى نحتاج اليها اليوم حيث استشرى الفساد وتفاقم الشرّ في كلّ البلاد . فالكرسي الرسولي هو الآن في امسّ حاجة الى تلك الرهبانية لتقوم في وجه الملحدين وحائر اعداء الدين (١) »

وما كان هذا القول الَّا صدىً لفكر بيُوس السادس الذي كان يقول : « انَّ الغاء الرهبانيَّة اليسوعيَّة انَّما كان سرًّا من الظلم والطغيان وانَّ رغبتهُ الشديدة ان يعيدها الى الحياة (٢) » بل كان صدىً لفكر كلّ من لم تعمهِ الاغراض وسياسة ملوك بوربون . قال البروتستاني وَرْنك المؤرخ (Hist. de la Papauté, IV, 500) : «انَّ

---

١) راجع تاريخ الرهبانيَّة اليسوعيَّة للمؤرخ الفرنسي كرانينوجولي : (Crétineau- Joly)
Hist. de la Cie de Jésus, V, p. 386)

٢) اطلب المجلة الاسبانيَّة Razon y Fé, *Juin* 1914, p. 246

انا. الرهبانيَّة اليسوعيَّة قوَّض اركان العالم الكاثوليكي كلِّه اذ دهمتهُ تلك الضربة اللازبة من كثب دون ان يستعدَّ لملافاتها لأنَّ اليسوعيِّين يهتمُّون بتهذيب الشبيبة في كلِّ البلاد فبهلاكهم اصبحت الناشئة عرضاً لكل المفاسد وتزعزعت دعائم المجتمع الانساني »

ولمَّا أرسل الكردينال باكَا (Pacca) سنة ١٧٨٦ كقاصد رسوليٍّ الى المانية كتب ما تعريبهُ : «منذ انا. اليسوعيين فقدَ الالمانُ اكرامهم القديم لرؤسائهم الروحيين وللكرسيِّ الرسوليِّ لانَّ اليسوعيين كانوا يهذِّبون الاحداث في مدارسهم العديدة فيضمون بذلك حدوداً للكفر ولكن منذ سقوط رهبانيَّتهم انفجر السدّ وطغى طوفان الكفر وانتشرت الجمعيَّات السريَّة والمطبوعات الفاسدة فأصيبت الكنيسة بنكبة عظيمة » وهذا ما دفع الكردينال باكَا الى ان يلحَّ على البابا بيوس السابع لينهض الرهبانية اليسوعيَّة من كبوتها

وما جاهر به ارباب الدين لحظهُ كلُّ مشاهير ذلك العصر فمن ذلك ما كتبهُ البرنس دي لينى (P^ce de Ligne) سنة ١٨٠٨ الى السيِّدة دي شوازي (M^me de Choisy) : « اني لستُ نبيًّا لا في وطني ولا في غيره ومع هذا لا ازال اردِّد منذ تشتُّت شمل الرهبانيَّة اليسوعية انَّ الشرور العظيمة التي نراها في ايَّامنا من نبذ الطاعة للرؤساء ومن روح الخلاعة والفساد ما كانت لتسود فيتهدَّد سيلُها الجُحاف كلَّ ممالك اوربَّة لو بقيت الرهبانيَّة اليسوعيَّة »

ومع رغبة بيوس السادس في احياء طغمة اليسوعيين لم تسمح لهُ الظروف بتحقيق نيَّته للشواغل التي شغلتهُ مدَّة خلافته باستفحال الشرور وتفاقم الفتن فرأى في زمن قليل كلَّ عروش الملوك تتساقط بالتوالي [1] وألوفاً من الابرياء ذهبوا ضحايا الثورة

---

[1] ومن اغرب التُّهم التي كان اعداء الدين يقرِّفون بها اليسوعيين قولهم بانَّهم حاولوا قتل الملوك فمن ثمَّ نسبوا اليهم مكيدة رجل يُدعى دامیان (Damiens) سعى بقتل الملك لويس الخامس عشر في ٥ ك ٢ سنة ١٧٥٧ بحجَّة انَّ هذا الشقي كان قبل سنين طويلة دخل خادماً عند اليسوعيين لمدَّة قصيرة. لكنَّ هذه التهمة قد نفاها عنهم ڤولتير نفسهُ حتى انهُ كتب لصديقه داميلافيل (Damilaville) في ٣ آذار سنة ١٧٦٣ : لا يخفاك اني لم اشفق قطّ على اليسوعيين

على انَّ براءة الغاء الرهبانية اليسوعيَّة لم يُعلَن بها في مملكة روسيَّة بامر الملكة كاترينا الثانية وفي مملكة بروسية بامر فريدريك الثاني الكبير وكلاهما ليس بكاثوليكيّ . واذ كان الاعلان الشرعيّ بالبراءة من شروط الالغاء في كل مكان حصل من ذلك انَّ الرهبنة اليسوعيَّة لم تَمُتْ كلها وبقي فيها رَمَق من الحياة لم تنطفئ شرارتُها . ومن العجب العجاب كيف كاترينا الثانية وابنها بولس الاوَّل بعدها ثمَّ فريدريك الثاني صديق ڤولتير احتفوا باليسوعيين واكرموا مثواهم فحفظوهم على

ولكن لو نسبتُ اليهم جريمة داميان لقامت عليَّ اوربَّة كلها مع داميان نفسهِ في تبرير ساحتهم » — اما وزير البرتغال المركيز دي بمبال فانَّهُ اذ لم يجد شكوى على اليسوعيين واعيان بلادهِ الكاثوليك الذين لم يوافقوه على سياستهِ المرتاء اللادينيَّة عهدَ الى احد الأُمَة بان يُطلق عيارًا ناريًّا على الملك يوسف الثاني فجرحهُ في ٣ ايلول سنة ١٧٥٨ فانتهز تلك الفرصة ليلقي القبض على اعدائهِ فمثَّل بكثيرين منهم واذاق بعضهم امرَّ العذابات وقفى كثيرين وحكم بالسجن المخلَّد على غيرهم واحرق بالنار سنة ١٧٦٩ أمام الشعب الاب غبريل ملاغريدا احد مشاهير عصرهِ الذي كان قضى اربعين سنة بين برابرة اميركة مبشّرًا بتنصيرهم وتهذيبهم . على انَّ هذه المعاملات العنيفة لم تمنع اعداء الرهبانيَّة اليسوعيَّة نفسهم من تذكيرها وتأثيم بمبال مضطهديهم. منهم اثنان من اصحاب ڤولتير لاكوندامين (La Condamine) وموبرتوي (Maupertuis) وكلاهما شهد على براءة اليسوعيين البرتغاليين وتبرّج اعمال بمبال مضطهدهم. وكذلك ڤولتير في تاريخ لويس الخامس عشر (ك ٢٢ ص ٢٥١) نَعَتَ معاملة بمبال للاب ملاغريدا « بضرب من الهذيان وغلاة في الفظاعة » « L'excès du ridicule et de l'absurdité fut joint à l'excès d'horreur »

واقطع من هذا ما صنعهُ الوزيران دي أرندا وشوازول ليوغرا صدر شرل الثالث ملك اسبانية على اليسوعيين قال السياسيّ والمؤرّخ شبل في كتابهِ المذكور (ك ٣٩ ص ١٦٩) : لم يكتفِ الدوق دي شوازول بان طرد اليسوعيين من فرنسة لكنَّهُ اضطهدهم ايضًا في اسبانية فاتَّخذ لذلك وسائل متعدّدة حتَّى بلغ اخيرًا غايتهُ بتهمة شنيعة فانَّهُ زوَّر رسالة باسم رئيسهم العام الاب ركّشي يدَّعي فيها بانَّهُ وقف على اوراق سريَّة تثبت كون الملك شرل ابن زنىً فدسَّت الرسالة بين اوراق رئيس اليسوعيين في مدريد في الليلة التي أقحم دي ارندا شرطهُ على ديرهم لتفتيشه فلمَّا وقف الملك على هذه الرسالة المزوَّرة طرد اليسوعيين كلَّهم من مملكتهِ ». وما اخبر بهِ شبل نقلهُ غيرهُ من مؤرخي البروتستانت كرنك وادام (Adam) وكوكس (Coxe) وسسموندي (Sismondi) وغيرهم. ومن المحقَّق انَّ الملك شرل منذ ذاك الحين حوَّل محبَّتهُ القديمة لليسوعيين الى بغضٍ عميق دون ان يبوح بسرّ تلك الرسالة ليتبيَّن صحَّتها او كذبها

خلاف الممالك الكاثوليكيَّة حتى يوم قيامتهم بامر البابا بيوس السابع فطُردوا من المملكتين. ومما كتبهُ الملك فريدريك منذ سنة ١٧٧٠ لصديقهِ ڤولتير : « ان راهب الڤاتيكان المزعّز (اشارة الى البابا اقليمس الرابع عشر) يسمح لي بان احفظ في مملكتي اليسوعيين المحبوبين لديَّ والمضطهَدين في كلّ العمور. واني سوف احرص في بلادي على هذه البزرة الثمينة لأفكرّم بها يوماً على من يريد استنبات نباتها العزيز ». وبعد الغاء الرهبانيَّة كتب فردريك الى عاملهِ في رومية الخوري كوليتي : « قُل علانيةً لكل من يريد ان يسمع اني لم اجد مطلقاً كهنةً كاليسوعيين جامعين لكلّ الصفات الحسنة » وكتب ڤولتير في ١٨ ت ١ ١٧٧٧ : « اذكر استاذك اليسوعي ومربّيك الاب تورنمين (P. Tournemine) وسائر تلك الرهبنة التي زوّدت فرنسة بمشاهير الرجال واماثل الناس ». وفي رسالة اخرى الى صديقهِ اللحد دالمبرت (d'Alembert) قال : « لا تلبثون عمّا قليل فتعاينون في فرنسة الشرور العديدة الناتجة لكم من طرد اليسوعيين ولا سيما من قبل تهذيب الاحداث ». وما تنبَّأ بهِ فردريك الثاني عاينهُ الكاتب شاتوبريند الشهير فقال : (Chateaubriand *Génie du Christianisme*, IV, 300) انَّ الآداب والعلوم في اوربَّة أُصيبت بالغاء اليسوعيين بضربة لازبة لا يمكن تلافيها. ولا يزال تهذيب الناشئة مخلًّا بفقدهم »

وكما أثنى فريدريك على اليسوعيين وحماهم تحت كنفهِ في بروسية كذلك كاترينا الثانية دافعت عنهم وصرّحت بكتاباتها « ان اليسوعيين يؤدون لرعاياها خدماً لا تُقدَّر بتربية الاحداث وانها تحفظها لتلك الرهبنة تخدم الكنيسة الكاثوليكيَّة التي ليس في العالم اصدق محامين لها من اليسوعيين ». ولم تكتفِ الملكة بذلك بل نالت من البابا بيُوس السادس الرخصة لليسوعيين بان يقبلوا مبتدئين ويختاروا لهم رؤساء عوامّ يدبّرونهم في ممالكها على مقتضى قوانينهم

*

وفي اثناء ذلك قام بعض الكهنة في سويسرة والنمسة وبلجيكة وفرنسة وانشأوا جمعيَّتين اسم الواحدة « آباء الايمان » والاخرى « آباء قلب يسوع » ائتسوا باليسوعيين القدماء وجروا على حسب رسومهم وسعوا بأن ينضمّوا الى اليسوعيين الباقين في روسيَّة. منهم الاب ڤارين (P. Varin) الشهير منشئ راهبات قلب

يسوع مع الطوباوية صوفيا بارات (B^te Sophie Barat) والمفضال الاب دي كاروفيار (de Clorivière) الذي كان اوّل رئيس الرهبانية اليسوعيّة في فرنسة بعد انتعاشها

وفي غضون ذلك عاد الملوك الى فكرتهم بعد السكرة فاخذوا ينظرون الى الرهبانيّة اليسوعيّة بعين الحكمة والعدل منهم فرديناند الرابع ملك نابولي وابن شرل الثالث ملك اسبانية فهذا كان طرد اليسوعيين من ممالكه باغراء وزيره المتفلسف تانوتشي (Tanucci) لكنه عرف غلطهُ بعد موت الوزير (سنة ١٧٨٣) وشعر بما يحلّ بالممالك النابذة لاهل الدين والناكرة لوجود الاله فطلب بالحاح من البابا بيوس السابع ان يسمح لليسوعيين باستئناف اعمالهم المبرورة في بلاده تحت طاعة اليسوعيين الباقين في روسيّة ورئيسهم الاب غروبر (P. Gruber) فلقي طلبهُ حظوى في اعين الحبر الاعظم. فما علم اليسوعيون الباقون هناك بالرخصة الممنوحة حتى توارد ١٧٠ من الرهبان القدماء وطلبوا الانضواء الى جمعيتهم المحبوبة وعيّن الابُ غروبر رئيساً عليهم المكرَّم الجليل الفضل والقداسة الاب يوسف بيانلي. وكان بعض هؤلاء الطالبين لنير الرهبانيّة اللين قد صاروا اساقفة فاستأذنوا من الحبر الاعظم ان يسمح لهم بالتنازل عن كراسيّهم ليعودوا الى حجر امّهم لكنّ البابا بيوس السابع لم يأذن الّا لواحد منهم وهو السيّد اثوغدرو اسقف ڤيرونا. فحدّث ولا حرج بالفرح الذي شمل اهل نابولي لمّا رأوا اليسوعيين عادوا الى مدينتهم. ودونك ما كتبتهُ وقتئذٍ فيهم جريدة معروفة بأفكارها الحرّة اي جرنال الدبا (Journal des Débats) في عددها الصادر في ت ١ سنة ١٨٠٤ :

« هؤلاء اليسوعيون الجُدَد كاخوتهم السابقين لا يخالفونهم البتّة لا في اسمهم ولا في ثوبهم ولا في قانونهم صانعهم انّه كبقايا اسرائيل ليستودعهم النار المقدّسة فيكونون حافظي تقاليد رهبانيّتهم ورروحها المحض ليورثوها من بعدهم لنيرهم من ابناء اغناطيوس ومن ثمّ تبقى السلسلة متواصلة الى منتهاهم دون انقطاع . . . ولا يقولنّ احد انّ الكرسيّ الرسولي بمخالفته براءة اقليمس الرابع عشر شذّ عن خطّته وناقض نفسهُ بنفسهِ. كلّا فانّ تلك البراءة قضت بها ضرورةٌ مشؤومة ضرورةُ الخوف والتهديد فأوجبت على اقليمس ان يلغي فرقةً من العمّالة الشيطين يبلغ عددهم عشرين الفاً وهذه اليوم ضرورةٌ اخرى هي ثمرة الاختبار بعد ما حصل من الرزايا والآفات بنكبة الرهبانية اليسوعية توجب على بيوس السابع ان يتلافى تلك الشرور. واننا لا نشكّ انّ الملوك والامراء عمّا قليل سيدركون صالحهم وخير رعاياهم بوضع حدود

لروح الكفر وفساد الآداب فيتحقّق جميع ذوي العقول الصائبة صحّة ما قالهُ باكون (Bacon) الكبير انهُ ليس في العالم افضل من مدارس اليسوعيين لتهذيب الناشئة »

فكان الرأي العام فضلًا عن رغبة البابا بيوس السابع ومحبّي الكنيسة انهُ لا بُدَّ من احياء الرهبانيَّة اليسوعيَّة في العالم كلهِ . الّا انَّ انواء جديدة ثارت على الكنيسة الرومانيَّة لأنَّ نابوليون الاوَّل لعبتْ في رأسهِ سَوْرة العظمة والكبرياء فظنَّ انهُ يستطيع مناصبة الحبر الاعظم فلمَّا كانت سنة ١٨٠٩ زحفت جيوشه على رومية فضربهُ البابا بيوس السابع بالحرم . فجرى بعد ذلك ما يعرفهُ الجميع اذ اوقف الحبرَ الروماني وقادهُ اسيرًا الى سافونة ثمَّ الى فُنتانبلو مع ما تبع ذلك من قيام الدول الاوربيَّة عليهِ وقَهْرهم لشوكتهِ واضطرارهم لهُ في نيسان سنة ١٨١٤ بان يُخلي صاحَ تقاعُده عن الملك . فرجع رئيس الكنيسة الى عاصمتهِ ظافرًا مكرَّمًا فامكنهُ ان يفكّر في تشييد جراحات الكنيسة . وكان اوَّل ما اراد اجراءهُ نشر رسم الرهبانيَّة اليسوعيَّة فانهُ في مدَّة اعتقالهِ في فُنتانبلو كان تروَّى في هذا الامر واعتبرهُ كحاجة ماسَّة لخير الكنيسة (١ فعقد عليهِ عزمهُ الثابت قال الكردينال پاكا (٢ في كتاب مذكّراتهِ (Mémoires du Cardinal Pacca) : « كان دخول البابا في رومية مظفَّرًا في ٢٤ أيار فما مرَّ على ذلك شهر واحد حتى واجهتُ الحبر الاعظم

١) نشير هنا كثيرًا مما نقولهُ عن مجلَّة التمدُّن الكثوليكي (Civiltà Cattolica, 2 Mai 1914)

٢) ومما يدلّ على انَّ الله وحدهُ دبَّر بعنايتهِ الصمدانيَّة رجوع اليسوعيين ما نعرفهُ من سوابق البابا بيوس السابع فانهُ كان في اوَّل امره راهبًا بندكتيًّا اسمهُ برنباي كياراميتي فلم يعرف من امر اليسوعيين سوى ما كان سمعهُ في حداثتهِ من معلّمي المبتدئين لابناء القديس اغناطيوس فكانوا يلقّنونهُ التعاليم الماكرة لتماليمهم فنشأ على النفور منهم . امَّا الكردينال پاكا الذي نراهُ هنا مدافعًا عن اليسوعيين وطالبًا إحياءهم فكان في شبابه من ابغض الناس لهم وقد اخبر عن نفسهِ أنَّ اعداء الرهبانيَّة اليسوعيَّة كانوا نفخوا في صدرهِ مداهنهم وأقرأوهُ الكتب المفعمة سبًّا وشتمًا في حقهم واقنعوهُ بان ينقل الى الايطاليَّة كتاب الاقليميَّات (les Provinciales) لپسكال وكتاب أرنلد (Arnauld) في آداب اليسوعيين السيِّئة . ثم اردف الكردينال بقولهِ : « من يا تُرى كان يمكنهُ ان يقنعني انَّ اوَّل ما يباشرهُ الراهب البندكتي كياراميتي بعد نجاتهِ من اعداء الكنيسة ان يحيي الرهبانيَّة اليسوعيَّة من قبرها وانني أنا (الكردينال پاكا) ماكون بين يديهِ ساعيًا في هذا العمل فاشهد قيام اليسوعيين كما شهدتُ موتهم بعد ما انقلبت افكاري في صدرهم وعرفت الامور كما هي في حقيقتها »

وذكَّرتُهُ بامر الرهبانيَّة اليسوعيَّة فأجابني على فور: « نعم هذا جُلُّ رغبتي واني أُريد ان يتمَّ الامر في عيد مئتها القديس اغناطيوس القادم في ٣١ تموز » . فكانت المدَّة الباقية اعني شهرًا بنيف قصيرةً جدًّا لتُطرَح المسألة على بساط البحث ويُناقش فيها الكرادلة وتُنشأ البراءة المعيدة للرهبانيَّة حقوقها مع تجهيز الاديرة للرهبان وإعداد لوازم معاشهم . فراجع الكردينال كُنزلفي (C^al Consalvi) الحبرَ الاعظم وطلب اطالة هذه المدَّة القصيرة وكذلك فعلتُ انا لدى قداسته . لكنَّهُ اصرَّ على نيَّته بقوله ان « لا بدَّ من انجاز هذا الامر في الوقت المعيَّن »

ثمَّ استقدم الكرادلة المعروفين بالسُّود وهم الذين كانوا دافعوا معهُ على حقوق الكنيسة وشاطروهُ اوجاع نكبته فتباحث معهم بأمر تلك المهمَّة ووكل الى واحد منهم بتأليف صورة أولى للبراءة النوَّية فقام الكردينال ليتّا (C^al Litta) بهذا العمل وصنَّف براءةً عن لسان الحبر الاعظم « ذكر فيها الظروف المشئومة التي حملت البابا اقليمس الرابع عشر على اصدار براءته في تعطيل الرهبانيَّة اليسوعيَّة مرغوماً بتهديد الملوك ومخدوعاً بمواعيدهم في سلام الكنيسة . ثم افاض الكلام في تذكية جماعة يسوع من كل التُّهم الموجَّهة اليها زورًا وتثبيتها في انعاماتها السابقة »

فهذه الصورة الاولى مع صحَّة منطوقها وُجدت غير مناسبة لكرامة الكرسي الرسولي فعرض الكردينال دي پياترو (di Pietro) صورةً اخرى بسيطة للبراءة النوَّية لكنهُ كان يريد أن تُجرَّد الرهبانيَّة عن بعض الميزات الممنوحة لها من الكرسي الرسولي بعد اثباتها الاوَّل للبابا بولس الثالث سنة ١٥٤٠ . فلم يرضَ قداسة بيوس السابع بهذا الرأي حتى عهد الى الكردينال پاكا بوضع براءة أخرى اشار اليهِ بصورتها ففعل وبعد تحويرها صادَقَ عليها معظم الكرادلة في ٣ آب فعيَّن الحبر الاعظم لإعلانها اليوم ٧ من ذاك الشهر الواقع فيهِ ختام الثمانية ايَّام لعيد القديس اغناطيوس»

وكان بودّنا ان نعرّب هنا تلك البراءة البابويَّة الجميلة التي اوَّلها «Sollicitudo omnium Ecclesiarum» لولا ضيق المجال وقد افتتحها راعي رُعاة كنيسة الله بذكر الاسباب العديدة التي حدَتْ بالكرسي الرسولي الى بعثة الرهبانيَّة . اوَّلها وغائب العالم الكاثوليكي باتفاق الاصوات في رجوع طغمة يسوع مع ما نتج عن إلغائها من الآفات والمضارّ للدين عموماً وللكنيسة الكاثوليكيَّة خصوصاً الى ان قال : « ومن

ثمّ اننا نرانا منذنبين امام الله بجرم ثقيل لو تغاضينا في وسط هذه الاحتياجات الشديدة والاخطار التي تتهدّد العالم المسيحي واهملنا النَّجدات التي تُمدُّنا بها العناية الصمدانيّة ورفضنا استخدام اولئك البحريين المحنكين بالجذافة الذين يبذلون نفوسهم لمساعدة سفينة بطرس اذ تلاطمها الامواج المُزبدة ويساورها تيّار البحار ليغرقها . . . » ثمّ يختم باثبات رسومها الرهبانيّة وقوانينها القديمة ويجعلها تحت حماية الكرسي الرسولي ويؤيد سلطة رئيسها العام الاب تذّاوس بروزوزفسكي (T. Brozozowski) المنتخب على اقاليم روسيّة وبلاد صقليّة ويجعله رئيساً على الرهبانيّة كلّها في كل انحاء العمور

فلمّا كان اليوم الموعود اي في ٧ آب جرت في امّ المدائن حفلةٌ شائقة دقّت بشائرها في كل اطراف العاصمة ونفت من قلوب اهلها ما خالطهم سابقاً من الحزن والكآبة يوم الغاء الرهبانيّة اليسوعيّة . ففي ضحى النهار خرج البابا من بلاط الكويرينال الى كنيسة « يسوع » العظمى الخاصّة للرهبانيّة وهي اذ ذاك مزدانة بابهى حلاها من الانوار والرايات والنقوش . فلمّا بلغ باب الكنيسة استقباله جميع الكرادلة الذين كانوا في رومية مع عدد لا يُحصى من الاساقفة واعيان المدينة في مقدّمتهم ٨٦ شيخاً من الرهبانيّة اليسوعيّة الذين عفى عنهم الموت فسمح لهم ان ينظروا امّهم المحبوبة تمجّدةً بعد بلاياها فينضمّوا اليها شاكرين الله على هذه المنحة الجليلة ان يتقيّدوا ثانيةً بقيودها المرغوبة . وكان بينهم ١٥ شيخاً يربي سنّهم على الثانين سنة وبعضهم ناهزوا على التسعين منهم واحد بلغ ١٢٦ من عمره وهو الاب اليهودي منتالتر (Alb. de Montalto) المولود سنة ١٦٨٩ والمترهّب في ١٢ ايلول ١٧٠٦ كان الروح القدس الهمهُ كسمان الشيخ انهُ لا يذوق الموت قبل رجوع رهبانيّة يسوع الى حياتها

ثمّ باشر الحبر الاعظم بالقداس على المذبح المشيّد فوق قبر القديس اغناطيوس احد مذابح رومية الفريدة بجمالها فرآهُ الجمهور في وقت الذبيحة في حالة من التأثير العظيم عملت في قلوب كلّ الحاضرين . وفي نهاية القداس خرج نائب السيّد المسيح وخليفة هامة الرسل بكل رونق وأبهة الى معبد اخوية الأشراف الكبيرة حيث اجتمع اماثل الناس لسماع البراءة البابويّة . وكانت في جملة الحضور احدى اميرات بوربون

ماري لويزة ابنة اخي شرل الثالث ملك اسبانية اتت هناك مع اولادها الثلاثة كأنها تريد ان تكفّر علانيةً عن اثم ملوك بوربون في حقّ الرهبانيّة اليسوعيّة (١)

ولمّا جلس البابا على عرشه الملوكي اخذ البراءة وناولها السيّد كرستاني فقرأها بصوت جهور كان يقاطعهُ تحيب اولئك الشيوخ اليسوعيين الكرام. وبعد نجازها تقدّم الاب پانيزوني (Panizzoni) اليسوعي المختار لرئاسة دير رومية الكبير وهو احد المعترين الذي كان دخل الرهبانيّة منذ ٧٠ سنة فانطرح عند اقدام الحبر الاعظم وشكرهُ شكرًا حيياً على النعمة الممنوحة لرهبانيّة يسوع فسأله البابا البراءة الرسوليّة. ثم هرول بقيّة الآباء وقبّلوا اقدام قداسته واكثرهم من العجز المستندين الى العصاة او الى كتف بعض الاصدقاء. فكان ابو المؤمنين يخاطب كلًّا منهم بارق الكلام وألطفه

وهكذا انبعثت الرهبانيّة اليسوعيّة من القبر الذي كان اعداؤها زعموا أنّهُ ابديّ. ومما يستحقّ الذكر انّ العالم الكاثوليكي باجمعه (الّا بعض الملحدين) تقبّل بفرح عظيم خبر رجوع ابناء القديس اغناطيوس حتى ملوك البوربون في اسبانية وايطالية الذين اقرّوا بغلطهم بينهم الملك فرديناند السابع ملك اسبانية وابن اخي شرل الثالث. اما ملوك البوربون في فرنسة الذين كانوا تشرّبوا تعاليم فولتير وشيعته فانّهم سكتوا لم يفوهوا بحلو ولا مرّ وكان هذا كافياً. ومنذ اوّل سنة لصدور براءة بيوس السابع تمكّن الاب دي كلوريفيار مع رفقته المدعوّين سابقاً بآباء الايمان ان ينظّم اقليماً فرنسويًّا لرهبانية يسوع

وكان من الواجب هنا أن نروي ما جرى في انحاء العالم بعد قيام الرهبنة من الاعمال التي استأنفتها بوكيف اسرع البطاركة والكرادلة والاساقفة والامراء والشعوب يكاتبون رؤساء الرهبانيّة المستجدّة ويطلبون منهم بالحاح ان يأتوا الى مدنهم ويفتحوا اديرة ومدارس لجمعيّتهم. وكذلك في الرسالات الاجنبيّة طلب كثيرون رجوع

---

(١) وقد زارت كليّتنا في بيروت قبل اربع سنوات اميرة اخرى من سلالة بوربون النابليّة يشهد الجميع لتقواها العظيم. فهذه الاميرة اذ اطّلعت على ما كتبهُ المؤرخ كرتينو جولي عن ظالم اجدادها الملوك للرهبانية اليسوعيّة قضت عدّة ايام تنوح وتبكي لتلك المعاملات الفظيعة التي ألحقوها برُهبان كانوا تفانوا في خدمتهم

اليسوعيين ليستأنفوا اعمالهم الدينيّة والخيريّة السابقة . على انّ رؤساء الرهبانيّة الجديدة لم يستطيعوا ان يجيبوا الى ملتمس الكثيرين. لنا شاهد على ذلك في رسالة سوريّة التي كان بطاركة الشرق واساقفتهُ التسوها من رئيس الرهبانيّة الاكبر في رومية فلم يستطع الرئيس المذكور ان يلبّي دعوتهم الّا سنة ١٨٣٢

وما لا يُنكر انّ ما قرّرهُ الحبر الروماني على الارض قد ايّدهُ السماء بمنّتهِ ورحمتهِ الواسعة . وها هي ذه تلك الرهبانيّة التي لا يزال كل حزب الاشرار قائماً في وجهها ليعرقل مساعيها وينلّ شباتها تجري بنعمة الله في سبيلها مطمئنّة لا تفعل فيها سهام معاديها واكاذيبهم ومطاعنهم المتوالية بل تنمو يوماً بعد يوم فضلاً وعدداً . واليوم قد بلغ عدد رهبانها زهاء ١٧,٠٠٠ تراهم كما في عهد الرهبانيّة الاولى عرضة لمناوأة اعداء الكنيسة لكنّهم مكرّمون من كل النفوس الصالحة وذوي الاستقامة والعدل الذين يشرّفونهم بثقتهم وثقتهم . وما يفوق على كل ذلك فيغمرهم تعزيةً ولاء الكرسي الرسولي واعتبارهُ شركتهم كطليعة جيش الكنيسة ليس لهم شوقاً آخر الّا خدمة الاحبار العظام لدى اوّل اشارة منهم ولنا على ذلك شاهدان جديدان اذ عهد البابا بيوس العاشر المالك سعيدًا الى رهبانيّة يسوع بان تفتتح في عاصمة اليابان كليّة جامعة وفي رومية مكتباً للدروس الكتابيّة مع مدرسة لاحقة به في القدس الشريف فتسارعت الى انجاز مرغوبه

قائمة عمومية للرهبانية اليسوعية

الرهبانيّة اليسوعيّة طائفة كان يبلغ عدد افرادها في غرّة العام الماضي سنة ١٩١٣ ١٦,٧١٥ راهباً . وكلّهم خاضعون لرئيس واحد عامّ يساعدهُ في تدبير الجمعيّة خمسة اشخاص يمثلون خمس ايالات (Assistances) او اعمال الرهبانية المنبثّة في العالم فضلاً عن كاتب عامّ لاسرار الرهبانيّة ووكيل عامّ للماديّات مع عدد من النظّار والكتبة

امّا الايالات الخمس فتُقسَم الى ٢٧ اقليماً . لايالة ايطالية خمسة اقاليم عدد رهبانها ٤٣١١ ولفرنسة اربعة اقاليم عدد رهبانها ٣٠٨١ ولاسبانية خمسة اقاليم عدد رهبانها ١٦١٣ ولايالة جرمانية ستّة اقاليم عدد رهبانها ٣٨٩٧ ولانكلترة مع اميركة سبعة

اقاليم عدد رهبانها ٣٨١٣ . وهؤلاء الرهبان منهم كهنة (٨١٧٨) ومنهم دارسون يُرَشَّحون للكهنوت (٤٤٠٠) ومنهم للاعمال اليدوية والمساعدة (٤١٣٧)

ثم انَّ هذه الايالات والاقاليم يلحق بها اربعون رسالة يبلغ عدد المشتغلين فيها ٣٦١٩ راهباً منها بعض رسالات في اوربة كالبانية واسوج ونروج وجزائر اليونان (عددهم ١٤١ مرسلاً) . ومنها في افريقية كمصر والجزائر والكنغو وزنبيز ومستعمرات الكاب ومدغسكار وجزيرتي موريس وراونيون (عدد المرسلين اليها ٣٧١) . ومنها في آسية في سورية وارمينية والحاء عديدة من الهند واعمال الصين واليابان (عدد المرسلين اليها ١٢٠٤) . ومنها في اميركة الشمالية كقبائل كندا وبلاد ألاسكا والجبال الصخرية وكولورادو ومكسيك الجديدة وهوندوراس وجزائر انتيل والجمائيك (عدد المرسلين اليها ٤١٧) . ومنها في اميركة الجنوبية كجهات البرازيل وكولومبيا وغويانة الانكليزية وخطّ الاستواء وبيرو والشيلي والجمهورية الفضية (عدد المرسلين اليها ١١٤٢) . ومنها اخيراً اوقيانية كجزائر فيليبين وجزائر فلورس وجاوة وكليب والحاء اوسترالية الشرقية والجنوبية (عدد المرسلين اليها ٤١٧)

اما نموّ الرهبنة فقد تمّ على الصورة الآتية . كان اليسوعيّون سنة ١٨١٤ بعد صدور براءة البابا بيوس السابع ٦٠٠ فبلغ عددهم سنة ١٨٣٤ ٢٦٨٤ مع ما كانت عليه اوربة وقتئذٍ من الاضطرابات والهرج والمرج بعد سقوط نابوليون وبسبب النهضة الماسونية في بلاد شتّى . ثم ازداد عددهم حتى بلغ سنة ١٨٥٠ ١٦٠٠ رغماً عما نالهم من الاضطهادات بفعل الثورة في فرنسة والنمسة وايطالية وبمناهضة الكتبة الاشرار كاوجان سو (Eugène Sue) الذي وضع كتابهُ اليهوديّ التائه سنة ١٨٤٥ إقطع دابرهم . ثم اخذ منذ ذاك ينمو عددهم بنظام فبلغوا سنة ١٨٦٠ ٧١٤٤ وسنة ١٨٧٠ ٨٨٤١ وسنة ١٨٨٠ ١٠,٤٩٤ وسنة ١٨٩٠ ١٢,٧٦٨ وسنة ١٩٠٠ ١٥,٠٧٣ وسنة ١٩١٠ ١٦,٢٩٣ . وقد قلنا انَّ عددهم كان في غرَّة سنة ١٩١٣ ١٦,٧١٥ ولا شكّ انهم اليوم بلغوا ١٧,٠٠٠ ام كادوا فلا يزال اذن نموُّهم متواصلاً فصدق فيهم قول الكتاب في أيُّوب بعد ضربته كما صدق فيهم في وقوعها : « وبارك الربّ آخرة أيوب اكثر من أولاهُ » اذ لو بقي معدَّل نموِّهم على ما هو الآن

سوف يبلغون بعد ٣٠ سنة او اقلّ عدد الرهبانية القديمة عند ملاشاتها مع انّهُ كان مرَّ عليها ٢٢٠ سنة

وان سئل السائل: « وهل يا تُرى يوافق فضلُ الرهبانيّة عددَها النامي » تركنا الجواب لمن يرونا في ظهرانيهم نعيش ونشتغل بينهم فانَّ المنصفين فيهم يقدّرون رهبانيّتنا قدرها. وما لا يُنكر ان الطغمة اليسوعيّة وثيقة النظام فهي اليوم كما كانت في عهد منشئها ولذلك لم تحتج قط الى اصلاح[1] وكذلك يلوح من ثقة الشعوب والاكليروس الكاثوليكي وبالاخصّ خلفاء هامة الرسل بأن ابناء القديس اغناطيوس المحدثين لم يحيدوا عن خطّة اجدادهم

هذا وفي ختام مقالتنا نستسيح عذرًا من قرّائنا لكتابتنا هذا الفصل الثاني عن رهبانيتنا على غير مألوف عادة هذه المجلّة التي لا تحبّ ذكر اليسوعيين الّا اذا اضطرّت الى تفنيد اكاذيب اعدائهم وردّ السهام عن رهبانيتهم ومن أحبّ أمّهُ ما ظلم. لكنّ مناسبة اليوبيل المئوي لم تسمح لنا هذه المرّة بالسكوت عمّا نال هذه الطغمة من المحن وعن خروجها ظافرةً بعد غارات اعدائها عليها ولا سيّما انّ بعض الملحدين في بلاد الشرق اخذوا ينقلون التُهَم التي يشينُها امثالُهم في حقّنا في الغرب فيذكّروننا ببراءة البابا اقليمس الرابع عشر كأنها هي وحدها الصادقة بازاء مئتي براءة أُخرى اصدرها الكرسي الرسولي في استحسان اعمالنا

ونسأل الله ان تدخل رهبانيّة يسوع في المئة الثانية بعد قيامها بنشاط جديد فيسكب الربّ على كل ابنائها انزر بركاته ويكلأهم بيمينه القديرة ويصونهم من كل ضلال وفتور في حمى كنيسة الله ليحقّقوا امانيّ نوّاب المسيح ويقوموا بلا ملال بالواجبات المترتّبة عليهم لمجد الله الاعظم وخير النفوس

---

١) قال احد البروتستانت المنشقين الى الانكليكان من حزب پوزاي (Pusey) في تاريخ القديسين الانكليز (Puseystes: *Life of the English Saints*, VI, 120): « ممّا لا ينكرهُ احد انّ الرهبانيّات بعد ظهورها وحرارتها الاولى تقاعست وفترت حتى احتاجت الى مصلحين يصلحونها. لكنّنا نستثني دائمًا على موجب الحق رهبانيّة القديس اغناطيوس الجليلة الشهيرة التي بعد كنيسة الله المنظورة يمكننا ان نُعد كأعظم معجزة في العالم » نقلنا هذه الشهادة تاركين تبعة القول على صاحبها البروتستاني